# رحلات حج سلاطين السودان الغربي وأثرها الحضاري
## (رحلتي السلطان منسا موسى، والأسكيا محمد الكبير نموذجا)

**أ .مقاديم عبد الحميد/ أ.د بن نعمية عبد المجيد**
**جامعة وهران1 أحمد بن بلة**
mekadime2018@gmail.com

**تاريخ الإرسال: 2018/03/25، تاريخ القبول 2018/04/03**

**الملخص:** شكلت الرحلات دورا مهما في الحياة العلمية والثقافية لعلماء بلاد السودان الغربي، و من خلالها تمّ التعرف على علوم وثقافات الشعوب الأخرى سواء كانت مشرقية كمصر وبلاد الحرمين، أو مغربية كفاس ومراكش وتلمسان، وتعتبر خرجات الحج من أهم الرحلات التي تعد وظيفة دينية فضلا على أنها نقطة التقاء وتواصل عمقت الصلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ناهيك عن الجوانب الثقافية والعلمية، وللغوص في ثنايا هذا الموضوع لابد من تعريف رحلة الحج وأدوارها . وأشهر الرحلات الحجية وأثرها على الصعيد الداخلي والخارجي.

**الكلمات المفتاحية:** الرحلات، الحج، السودان، منسى موسى، محمد الكبير

**Abstract :**

Journeys played an important role in the scientific and cultural life of scholars of Western Sudan, through which the sciences and cultures of other peoples were recognized, whether they were oriental, such as Egypt, the land of the Two Holy Mosques, Moroccan Kfas, Marrakech, and Tlemcen. The pilgrimage was one of the most important religious journeys, Social, political and economic ties, not to mention the cultural and scientific aspects. In order to dive into the folds of this subject pilgrimage journey must be defined as well as its roles. We focus on the most authentic journeys and their impact at the internal and external levels.

## الحج في اللغة والاصطلاح:

الحج في **اللغة**: هو القصد.

وفي **الاصطلاح**: قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة للنسك في وقت معلوم من السنة ، وهو فرض على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر، متى استطاع إلى ذلك سبيلا . ويؤديه المسلم العاقل ، البالغ الصحيح البدن ، القادر الذي يملك زاد السفر، وأجرة الانتقال ، وما يكفي عياله من بعده وأن يكون الطريق إلى مكة المكرمة مأمونا. وتاريخ بدء أداء الحج من بلاد السودان الغربي، كما هو في بقية أنحاء العالم الإسلامي ، يرجع إلى بدايات انتشار هذه العقيدة ، وذلك لأنه ركن أساسي من أركانها[1] .

والحج إضافة إلى كونه ركنا من أركان الإسلام فهو مناسبة اجتماعية ومظاهرة ثقافية وسوق اقتصادية . ففيه تشهد الأماكن المقدسة في الحجاز تجمع حشود ضخمة من أجناس متعددة، ويكون فرصة لإظهار وحدتهم ، ومناقشة أمورهم، ونهل بعضهم من علوم البعض الأخر، وتعلم المهارات التي تمدهم بأسباب البناء وعوامل الارتقاء والتطور بمجتمعاتهم المحلية. وتتحدث المصادر التاريخية عن قوافل الحج المختلفة التي كانت تتوجه جموعها صوب الأراضي المقدسة، وأشارت إلى أنه ومنذ تغلغل الإسلام في السودان الغربي حرص سلاطين الدويلات الإسلامية على تنظيم قوافل الحج السنوية إلى الأراضي المقدسة، والتي أصبحت وسيلة من وسائل نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية في بلاد السودان الغربي[2].

إنّ الحج يمثل أقوى الروابط الأخوية بين شعوب الأمة، وهو فرصة للالتقاء والتبادل الفكري والثقافي والتجاري وفرصة للاحتكاك المباشر بين المسلمين والتعرف على أحوالهم المختلفة ، وقد كان أهل السودان يكرمون الحجاج ويقيمون لهم احتفالات ضخمة تعبر عن مدى حبهم وشغفهم

[1] . مطير سعد غيث احمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 2005، ص 165

[2] . المرجع نفسه ص 165

بالوصول إلى بيت الله الحرام[3]، ويشعرون بأهمية اطلاعهم على كل ما يجري في الأماكن المقدسة وبلاد المشرق، وما يدرس فيها من علوم والاطلاع على ما احتوته تلك المناطق من آثار للصحابة والتابعين والعلماء ، فاقترنت رحلات الحج بالعلم ، فكان حجاج بيت الله الحرام يعودون إلى بلادهم وقد أدوا مناسكهم الدينية وتحصلوا على قدر من المعرفة الدينية . ونجد بعضهم قد تحصلوا على إجازات علمية بعد أن تحصلوا على ما لم يطلعوا عليه من قبل من مؤلفات علمية في مختلف المجالات[4] . وقد شجع هذه الرحلات رعاية السلاطين لها وتشجيعهم للحركة العلمية ، فكانت مواكبهم تضم أعداد ضخمة من العلماء والفقهاء ، ولقد اشتهرت من هذه الرحلات رحلتين كانا لهما الأثر البالغ في مجتمع السودان الغربي ، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي آنذاك .

وهما رحلة السلطان منسا موسى ملك دولة مالي سنة 724 هـ /1321م ورحلة السلطان الأسكيا محمد الكبير ملك دولة صنغاي سنة 902 هـ /1496م.

**أ ـ رحلة منسا موسى[5] للحج سنة 724 هـ /1321م:**

يعتبر منسا موسى أحد ملوك مالي الذين خالطة بشاشة العقيد قلوبهم فتأثر بها أيما تأثر فدفعه ذلك إلى القيام بهذه الرحلة المقدسة رحلة الحج المشهورة في تاريخ السودان الغربي ، ولقد زادت هذه الرحلة من شهرت مملكة مالي وذاع صيت هذا الملك منسا موسى ، فوصفت المصادر التاريخية ذلك الثراء الأسطوري الذي كان يحمله معه ، والذي جعل العالم الإسلامي ينبهر بمجده

[3] . إصلاح محمد البخاري حمودة ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء ، تنبكتو غدامس نموذجا ( 7 . 11 هـ/ 13 ـ 17 م) رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا جامعة العقد الفريد ليبيا ص ص 172 173.

[4] . التنيخي حسن علي إبراهيم ، تأثير الإسلام وثقافة العربية في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر ميلادي ، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان ، السودان ( 2008 /2009) ص 241

[5] . منسا موسى هو بن أبي بكر بن سالم التكروري ، ويلقب بالأشرف ، وقيل لقب بشرف الدين أما كلمة منسا فمعناها في لغتهم : الملك أو السلطان. وهو من أبرز وأعظم السلاطين في السودان الغربي وأوسعهم بلادا ، وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا ، وأقهرهم للأعداء ، وأقدرهم على إضافة النعماء ، وكان من المصلحين الفاتحين ، ولم يكن في ملوك السودان مثله في العدل والصلاح . أنظر : محمد عبد العالي أحمد ، منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، مركز الدلتا للطباعة ، (ب ط ) ، 1987، ص 21.

وقوته وثرائه[6]. فقيل أن ركب الحج كان يضم عشرة ألف شخص ، يذكر فضل الله العمري في مسالك الأبصار والقلقشندي في صبح الأعشى أن السلطان منسا موسى نزل بأرض مصر في عدد وفير من أهالي مالي يقدرون بالآلاف في موكب عظيم واستقبل من طرف الملك المملوكي الناصر بن قلاوون فأكرمه وأحسن وفادته[7] . وبقي السلطان منسا موسى في مصر فترة من الزمن حيث كان له من الآثار الطيبة على أهلها ، فأغدق عليهم بالهدايا والمال الكثير . كما أغدق الكثير من المال على القبائل المتواجدة في طريقه بين مالي ومصر. وكان يبني المساجد في طريقه الى الحج في كل مكان تدركه فيه صلاة الجمعة[8]. كما اشترى أملاكا وقفية لأهلي التكرور في مصر مساعدة لهم في طلب العلم ، كما وهب الكثير من المال للأزهر الشريف ، كما أسس رواق في الأزهر لطلبة بلاد السودان الغربي ، وابتنى دارا في مصر لطلبة العلم من أهل السودان[9] .كما كانت له صلات بالعلماء في مصر، نذكر منهم العالم محمد بن أحمد تغلب المصري المعروف بكشغندي[10] ، الذي التقاه بالمدرسة المالكية وطلب منه أن يؤلف له بعض الشروح الطليطلي[11] . كما اشترى مجموعة من الكتب الثمينة أهمها كتب الفقه المالكي.

---

[6] . أبو بكر اسماعيل ميقا ، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ الى 1100هـ ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، ط1، 1997،ص ص 74 75.

[7] . العمري ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تح وتع مصطفى أبو ضيف ، مطبعة الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1988، ص ص 70 71. / أبو العباس القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تح محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، ( ب ت) ص295.

[8] . محمود كعت ، الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس،1913، ب ط ، بردين ، ص 36.

[9] . الباز السيد أحمد ، الحياة العلمية والثقافة في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي (مالي و صنغي ) القرن( 7 . 10 )هـ /( 13 ـ 16 ) م ، الدولية الإفريقية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 2013، ص ص 183 184.

[10] . أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج، تحقيق، عبد الحميد عبد الله الهوامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000، ط2، ص 47.

[11] . هو أبي الحسن الطليطلي من طليطلة بالأندلس،سمي محمد بن عبد الله بن عيشون ، كان من فقهاء المالكية . أنظر :حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري، السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597، 886 هـ/ 1200 ،1484 م) رسالة ماجستير في الدراسات الافريقية معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، 2009، ص 80.

وقد أثرت هذه الرحلة على تشجيع الحركة العلمية بين مصر والحجاز وبلاد السودان الغربي ، حيث رحل مجموعة من علماء مصر نذكر منهم العالم عمر بن علي بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي المصري الذي اشتهر بضلوعه في علم النحو والبلاغة[12] .كما رحل الى مالي العالم أبوبكر بن قاسم بن عبد المعطي الحزرجي المكي سنة 806هـ /1403م وبلغ منزلة عظيمة[13] . ومنهم العالم صالح بن محمد بن أحمد الباقوري نسبة إلى باقورة وهي قرية مصرية توفي سنة 843هـ /1439م[14]، وكذا العالم علي بن محمد بن عبد الرحمن ت 869هـ / 1464م والذي سافر إلى مالي بعد أن طلب العلم في مكة المكرمة فحضر مجلس العالم علي التوزري والرضى وسمع منهما ، ولازم سماع الحديث بمكة والمدينة ومصر والإسكندرية، ثم جلس للتدريس في القاهرة في حضرة والده ، ثم توجه عام 754هـ /1353م بصحبة ركب الحجيج المالي الى مكة المكرمة ثم رجع ثانية إلى مالي فوجد فيها الترحيب والتبجيل وحسن الاستقبال[15] . أما العلماء الذين استقدمهم منسا موسى معه أثناء رحلته الحجية، نجد العالم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن، وهو أندلسي الأصل من أهل غرناطة كان والده من أهل العلم وله باع في الفرائض ولم يكن الساحلي مهندسا فقط بل كان شاعرا وأديبا[16] . وقد كلفه السلطان منسا موسى ببناء قصر السلطان في تنبكتو، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى مسجدا أخر في مدينة غاو[17]. وتعتبر هذه الأعمال من الانجازات العمرانية الفنية و الهندسية والزخرفة والتي دخلت لأول مرة إلى بلاد

[12] . الفانوس عمار سالم ، دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، رسالة ماجستير كلية الفنون جامعة بغداد ، 2002، ص 179.

[13] . حسن حلمي ، السياسة الخارجية لمملكة مالي ، المرجع السابق ، ص 81.

[14] . السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، مكتبة المقديسي ، القاهرة ، 1353هـ ، 315/3

[15] . الشامي ابراهيم علي يوسف ، الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي (636، 1000 هـ / 1238، 1521م)، رسالة ماجستير في التاريخ والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ، 2006، ص 215.

[16] . أبو بكر إسماعيل ميقا ، المرجع السابق ، ص 82.

[17] الفانوس عمار صليح سليم ، المرجع السابق، ص179.

السودان الغربي وهذا كله من الآثار الحضارية لتلك الرحلة المباركة للسلطان منسا موسى للأراضي المقدسة، وبالتالي نجد ذلك المزيج للفن والعمارة بين الأندلسي والمغربي في أرض السودان.

وكذلك استقدم معه الفقيه أبا عبد الله الكومي الغدامسي (بليبيا ) والذي قال في رحلته مع منسا موسى" كنا نواكبه أنا وأبا اسحاق الطويجين دون وزرائه ووجوه قومه نأخذ بأطراف الأحاديث" حيث أغدق عليهم الأموال والهدايا فقد أعطى لأبي إسحاق في يوم واحد أربعة ألاف مثقال ذهب [18].

ومن العلماء الذين استقدمهم الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي سكن تنبكتو فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفقهوا عليه في الفقه مما اضطره السفر إلى فاس ثم العودة من جديد إلى تنبكتو ليتقلد بها القضاء إلى أن وافاه الأجل[19] .

ومن الذين جاءوا مع السلطان منسا موسى أربعة أشراف من قريش كان يريد التبرك بهم فطلب من شريف مكة أن يبعث معه شريف من بيت النبوة فرفض بحجة الخوف عليه من الوقوع في يد الوثنيين.ولكن عندما ألح عليه السلطان منسا موسفي الطلب نادى مناديا من أراد ألف مثقال ذهبي فليتبع منسا موسى إلى أرضه فاجتمع له أربعة رجال من موالي قريش[20] .

وعن هذه الرحلة التي قام بها منسا موسى أدت إلى انتشار اسم دولة مالي في العالم الإسلامي وشيوع ذكر السلطان منسا موسى وما ناله من التعظيم والتبجيل، بفعل ما قام به من المنح والهدايا، واستقطابه للكثير من العلماء والفقهاء، إضافة إلى توطيده للعلاقة بين بلاد السودان الغربي عموما ومالي على وجه الخصوص وغيرها من الأقطار المشرقية خاصة مصر وبلاد الحجاز، مما فتح المجال واسعا أمام طلبة العلم في هذه البلاد .

[18] . ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التحرير ، القاهرة ، 1966، ب ط ، ص311

[19] . السعدي . عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي ، دراسة وتح عبد المنعم ضيفي عثمان، دار الرشاد ، القاهرة ،ط1، 2010 ، ص 51.

[20] . محمود كعت ، المصدر السابق ، ص ص 36 37

كما أننا نجد كذلك الكثير من علماء السودان الغربي الذين رحلوا إلى مصر فنذكر منهم العالم فاتح بن عثمان الأسمر التكروري الذي كان يريد العلم والفقه فلازم أحد مساجد دمياط حتى أصبح هذا المسجد يعرف باسمه بجامع فتح نسبة إلى هذا الشيخ حتى توفي بها سنة 795 هـ /1395م[21] . وكذلك العالم راشد بن عبد الله التكروري وهو أحد المشايخ والأعلام البارزين وكان مقيما بجامع راشد عند بركة الجيش في مصر توفي سنة 766هـ / 1364م[22] ، ومنهم الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري الذي تولى الإمامة بمسجد التكروري الذي أقيم بمدينة بولاق في المنطقة المعروفة ببولاق التكرور بمصر[23] . وكذلك الشيخ عمر التكروري الذي مكث بمصر مدة طويلة من الزمن والذي توفي بها ودفن بالقرافة بالقرب من مسجد الشافعي[24]، كما جاء إلى مصر العالم عبد العزيز التكروري في أواسط المئة التاسعة من الهجرة النبوية وكان عالما في اللغة والنحو[25] .

**ب ـ رحلة أسكيا محمد الكبير [26] 902 هـ / 1496م :**

تعتبر هذه الرحلة الثانية من ناحية الضخامة والشهرة بعد رحلة منسا موسى حيث أخذ أسكيا محمد الكبير بعد توليه الحكم سنة 890هـ/ 1484م بالتجهيز لهذه الرحلة الإيمانية لبيت الله الحرام والتي انطلقت سنة 902هـ/1496 وقد وصف محمود الكعت ذلك بقوله " ونادى في أرضه

[21] . الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، 189.

[22] . مهدي رزق الله أحمد ، حركة التجارة في الإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، ط1، 1998،ص 729.

[23] . حسن حلمي أبو الفضل ، المرجع السابق ، ص 80.

[24] . الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 190.

[25] . السعدي ، المصدر السابق ، ص 182.

[26] . كان الأسكيا محمد الكبير ضابطا بارزا في جيش علي الأكبر وقد لاحظ ضعف السلطان الذي كان معه أبو بكر داعوا نجل علي فقام باغتصاب الحكم منه ، وكانت بدية حكمه بالفتوحات ضد الوثنيين فتوسعت دولته ، وأخذت الدولة مظهرا اسلاميا شأنها شأن المماليك السابقة ، كما اتصف بعدة خصال جعلته من مشاهير الحكام ، فقد كان صائب التفكير بعيد النظر وعلى قدر كبير من العلم والنشاط والحكمة والثبات ، واتخذ من الاسلام أداة ثبت أنها فعالة جدا لتوحيد الناس حوله وتوطيد سلطانه وتثبيت ملكه. فقد كان يبدي إحتراما عميقا لدين والعلوم .أنظر : جميلة إبحمد التكيتك ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير (1493ـ 1528م) ط1،دار الكتب الوطنية طرابلس ، 1998، ص56.

من كل جانب يطلب الزاد والعون "[27] وقد اصطحب معه في رحلته العلماء والفقهاء إضافة إلى الجنود والعبيد والأمراء والحكام والدواب المحملة بالذهب وكان في كل بلد يمر به يستأذن من أميرها بالدخول ثم ينفق بسخاء[28] ، وتروي المصادر أن عدد الجند الذين صاحبوا الأسكيا محمد الكبير بألف وخمسمئة جندي وثمان مئة من العبيد وكان معه ابنه الأسكيا موسى وعدد أخر من أمراء النواحي ومن العلماء والقضاة فقد رافقه الشيخ محمد تل وألفا صالح جور وكاغ زكريا والمؤرخ محمود الكعت التنبكتي صاحب تاريخ الفتاش[29].

وحمل معه ثلاثمائة ألف مثقال من الذهب الخالص أخذها من كنوز سني علي التي تركها ، وقد تصدق الأسكيا على فقراء مكة بمئة ألف دينار ذهبي ، واشترى بيوتا وأوقف بساتين حبسها على الفقراء والمساكين والحجاج القادمين من بلاد السودان الغربي[30] . وقد أكرمه شريف مكة وأحسن وفادته في حفل خاص به كما عينه خليفة للمسلمين في بلاد السودان الغربي[31] ، كما التقى بالكثير من العلماء في مكة واستفتاهم في أمور الدين ، وأثناء مروره بمصر التقى بعلمائها ومنهم الإمام السيوطي[32] ، الذي قدم له نصائح يقول في ذلك الكعت " ثم لقي كثير من العلماء والصالحين منهم جلال الدين السيوطي وسألهم عن أشياء في أمور الدين فأفتوه فيها "[33] .

---

[27] . محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 16

[28] . المصدر نفسه ، ص 72

[29] . المصدر نفسه ، ص 65

[30] . السعدي ، المصدر السابق ، ص 72

[31] . زكي عبد الرحمن ، الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، مطبعة يوسف ، القاهرة ، (ب ت ) 52/2

[32] . هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، ولد ليلة الأحد مستهل رجب سنة 849هـ/1445م بالقاهرة وتوفي سنة 911هـ/1505م . بدأ حياته العلمية مبكرا ، حفظ القرآن مبكرا مع عمدة الأحكام ومنهاج النووي والفقه ، وألفية بن مالك ، وشيوخ السيوطي في الرواية والسماع والإجازة كثيرون ، وتبحر في علو التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، أنظر : السيوطي جلال الدين حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1976، ص 344.

[33] . محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 72.

وقد أعطت هذه الرحلة حيوية ودفع جديد لعلاقات بلاد السودان الغربي مع مصر وبلاد الحرمين وذلك من خلال تلك الهبات التي منحها الأسكيا لعلماء الأزهر وبلاد الحرمين ، إضافة إلى تقليده لقب الخليفة الذي يمثل الشرعية والانتماء للعمق الإسلامي وهو ما عزز من مكانة طلاب وعلماء وحجاج بلاد السودان الغربي في هذه الديار، والتي رحلوا إليها بغرض العلم أولا وأداء فريضة الحج. ومن العلماء الذين رحلوا إلى بلاد الحرمين ومصر

**الفقيه القاضي محمود بن عمر آقيت (ت 955هـ /1548م):**

وهو أحد فقهاء تنبكتو وعلمائها وصلحائها قال عنه أحمد بابا التنبكتي " .... قاضيها أبو الثناء و أبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهاوإمامها بلا منازع وكان من خيار عباد الله الصالحين ، اشتهر بعلمه وصلاحه في البلاد وسار صيته في الأقطار شرقا وغربا فظهر ورعه وصلاحه وعدله في القضاء .... لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين ويزورونه في بيته فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف تولى القضاء عام 904 هـ فشدد في الأمور وسدد "[34]. ويتضح من كلام التنبكتي المكانة العلمية التي احتلها هذا الفقيه في بلاده ومدى ورعه وصلاحه ومما أهله لتولي خطة القضاء ، سافر في رحلة الحج سنة ( 915 هـ/ 1509م )، حيث التقى في مصر وبلاد الحرمين مجوعة من العلماء نذكر منهم إبراهيم المقدسي[35] ، والشيخ زكريا[36] والقلقشندي وناصر الدين اللقاني[37] وغيرهم ، وقد استفاد منهم واستفادوا منه .

[34] المصدر نفسه، ص 75.

[35] . ابراهيم المقدسي لم أقف على ترجمة لهذا العالم .

[36] . الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي قاضي ومفسر من حفاظ الحديث ولد في مصر سنة 823هـ/1420م ،تعلم في مصر وتولى فيه القضاء مدة من الزمن وله مصنفات عديدة منها فتح الرحمن وتحفة الباري على صحيح البخاري وفتح الجليل وغيرها توفي بالقاهرة سنة 924هـ /1520م.أنظر: الزركلي خير الدين ، الأعلام ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7، 1986، ص 80.

[37] . اللقاني هو محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن ناصر الدين اللقاني ولد بلقانة سنة 873هـ/1478م وهو فقيه أصولي ومن أثاره حاشية على شرح الجوامع في أصول الفقه . أنظر : أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص337.

**والفقيه القاضي العاقب بن محمود أقيت (ت 991هـ / 1583م):**

وهو ابن الفقيه محمود بن عمر ، كان من فقهاء تنبكتو وزهادها . قال عنه أحمد بابا " بأنه كان مسددا في أحكامه صلبا في الحق ثابتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم قوي القلب مقداما في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره "[38] تولى قضاء تنبكتو فاشتهر بعدله وانصافه ، كانت له رحلة حجية حيث لقي مجموعة من العلماء منهم الناصر اللقاني وأبا الحسن محمد البكري[39] ، فأجازه اللقانيفي كثير من العلوم . وكذلك الفقيه أحمد بن أحمد أقيت ( ت 991هـ /1583م ) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت والد أحمد بابا التنبكتي وقال عنه " كان رحمه الله تعالى فهامة ذكيا داركا محصلا محدثا أصوليا منطقيا ، وكان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك ويزورنه في داره "[40] وهذا يبين المكانة التي احتلها هذا الفقيه في بلاده نظرا للمكانة العلمية التي اشتهر بها، كانت له رحلة حجية سنة 956 هـ/1549م حيث زار خلالها المدينة ومكة ومصر فالتقى بمشاهير العلماء منهم الشيخ الناصر اللقاني والشريف يوسف الأرموني تلميذ السيوطي ، وجمال الدين بن الشيخ زكريا[41] والشيخ التاجوري[42] والأجهوري[43]، والتقى بمكة والمدينة عبد المعطي

[38] . أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 180

[39] . محمد البكري هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الحق أبو الخالق أبو الحسن البكري ولد بالقاهرة سنة 899هـ /1493م . وهو مفسر ومتصوف من علماء الشافعية كان يقيم عاما بمصر وعاما بمكة ، ومن أهم مؤلفاته تسهيل السبيل في تفسير القرآن وسمي تفسير البكري ، شرح منهاج النووي وتحفة واهب المواهب في بيان المقامات وغيرها من الكتب توفي بالقاهرة سنة 952هـ/ 1545م . أنظر : خير الدين الزركلي ، الاعلام ، 203/7.

[40] . أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 93

[41] . جمال الدين بن الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري من أهل مصر نبغ في العلم والفقه واللغة كان حيا سنة 956هـ. أنظر :أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص93

[42] . عبد الرحمن التاجوري أبوزيد ت 999هـ.1590م سمي بالتاجوري نسبة الى تاجور أحد مدن ليبيا وهي من أعمال طرابلس كان فقيها نحويا وبليغا ، رحل الى مصر ومكث هناك للتدريس . أنظر :الفانوس عمار صليح ، المرجع السابق ، ص204

[43]. عبد الرحمن بن محمد الأجهوري المالكي زين الدين ت 961هـ/1553م ، عالم فقيه قرأ على يد شهاب الدين القطلاني وشمس الدين اللقاني وغيرهم أجيز بالإفتاء والتدريس فأفتى وصنف . توفي في القاهرة وبها دفن ، من تصانيفه شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي . أنظر :زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص 203.

السخاوي[44]،وابن حجر المكي[45] وعبد العزيز اللمطي[46] وعبد القادر الفاكهاني[47] واستفاد منهم جميعا .وكذلك محمد البغيغ ( ت 1002 هـ/ 1593م ) أحد أعلام تنبكتو وقضاتها وهو ابن الفقيه محمود بغيغ الذي تولى قضاء جني، ويعتبر محمد بغيغ أحد شيوخ أحمد بابا التنبكتي كان رحمه الله عالما محققا ذكيا فطنا حاضر الجواب سريع الإدراك[48] ، وهو من العلماء المتعدد التخصص، تتلمذ على يد والده محمود بغيغ، رحل إلى الحج والتقى بمصر بالكثير من العلماء في مصر منهم الشريف البرهموثي الحنفي والإمام محمد البكري وغيرهم فستفاد وأفاد. وكذلك الفقيه محمد بن أحمد التازختي(ت 936 هـ/ 1538م ) كان عالما متفننا محققا ثاقب الذهن جيد الخط سريع الفهم والإدراك أخذ العلم عن الفقيه الحاج أحمد بن عمر أقيت ، رحل إلى تكدة وبها التقى بالإمام المغيلي وحضر دروسه ثم سافر في رحلة حجية مع قاضي الجماعة محمود بن عمر[49]، فلقي مجموعة من العلماء الأجلاء كشيخ الإسلام زكريا والقلقشندي والبرهانيين وابن أبي الشريف[50] وحضر دروس

[44]. عبد المعطي أحمد بن محمد السخاوي المدني ت 960هـ/1552م الفقيه العالم المصنف الجامع له عدة تأليف منها تفسير القرآن سماه الفتح المجيد في ستة أجزاء ، له تاريخ المدينة ،و شرح الشامل . أنظر :أحمد بابا التنبكتي،المصدر السابق ، ص188

[45] . أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الانصاري شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس الفقيه كان مولده بالمحلة بالإقليم الغربي لمصر سنة 909هـ/1503م ، انتقل الى الأزهر وهو صغير السن فحفظ القرآن ، وتعلم العلوم على مشايخ الازهر منهم الشيخ عبد الحق السنباطي وابو الحسن البكري وشمس الدين اللقاني ، وأذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين وبرع في كثير من العلوم منها التفسير والحديث والفقه والأصول والفرائض والمعاني والبيان . أنظر : الزركلي ، المصدر السابق ، ص34/4

[46] . عبد العزيز اللمطي ت 880هـ/1475م المكناسي المالكي فقيه نحوي من أهل فاس ، نزل المدينة المنورة له ألفية في النحو وشرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي . أنظر :الزركلي ،المصدر السابق ، ص21

[47] . عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي ت 989هـ/1581م عالم فقيه برع في كثير من العلوم نذكر منها منهج القاضي زكريا ، وشرح قصيدة الصفي ،وكتاب في فضائل شيخه ابن حجر الهيثمي ، ومناهج الأخلاق السنية .أنظر :حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكنى والفنون ، مطبعة وكالة المعارف ، استنبول تركيا ،1941، ب ط ، مج 4 ص 845.

[48] . أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص603.

[49]. السعدي ، المصدر السابق ، ص 39

[50]. ابن أبي الشريف ، برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن أبي شريف المقديسي المصري الشافعي ، ولد في القدس سنة 833هـ/1492م وفيها نشأ واشتغل بالعلم ثم رحل الى القاهرة ودرس فيها وله

الأخوين ( شمس الدين اللقاني وأخوه ناصر الدين اللقاني ) كما أجازه في مكة أبو البركات النويري[51] وأبو الطيب البستي وغيرهم

**الفقيه أبوبكر بن أحمد بن محمد أقيت (ت 991هـ / 1583م ):**

وهو أحد فقهاء تنبكتو وصلاحها ذهب للحج ثم عاد ، ولكنه اشتاق إلى مجاورة النبي فأخذ اسرته إلى هناك ليكمل بقية حياته في الحجاز منشغلا بين مكة والمدينة طالبا للعلم حتى وفاه الأجل ودفن بالبقيع[52] .

**الفقيه أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر التنبكتي:**

وهو الذي قام برحلة دون فيها جميع الأماكن التي زارها ، ففي مصر التقى بالعالم الأجهوري ، والفقيه إبراهيم بن الشيخ شمس الدين المبحوتي، أما في مكة فقد التقى بالشيخ محمد العلوي الحضرمي اليمني نزيل مكة وأحد الأشراف المشهورين بها فأكرمه[53] .

أما من العلماء الذين رحلوا من مصر وبلاد الحجاز إلى بلاد السودان الغربي فنجد أحد الأشراف الحجازيين قدموا إلى بلاد السودان الغربي بناء على طلب الأسكيا محمد الذي طلبه من شريف مكة بأن يبعث معه أحد الأشراف تبركا به فبعد مدة من الزمن بعث ابن أخيه الشريف أحمد الصقلي الذي قدم إلى تنبكتو فلما علما به الأسكيا محمد الكبير خرج إليه و استقبله بحفاوة ، ومنح له الهدايا والامتيازات، فأعطاه مائة ألف دينا ذهبي وخمسمائة خادم ومئة من الإبل ومنحه بعض الضياع والدور . هذا وقد أعطى أحمد الصقلي للأسكيا محمد رسالة من شريف مكة جاء

مصنفات عدة منها شرح المنهاج في أربعة مجلدات وشرح الحادي ، توفي في القاهرة سنة 923هـ/1517م . أنظر :زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ، ص199.

[51]. محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز أبو البركات النويري وينسب الى نويرة وهي قرية من قرى مصر ويلقب بالمالكي والشافعي ، ولد بمكة سنة 812هـ /1409م ونشأ بها وقرأ القرآن ونبغ في الفقه واللغة ولى الخطابة بالمسجد الحرام توفي سنة 875هـ/1470م . أنظر : السخاوي الضوء اللامع.لأهل القرن التاسع، دار الجيل ، بيروت ،ط1، 1992.، 34/10

[52]. السعدي ، المصدر السابق ، ص41

[53]. صلاح محمد البخاري حمودة ،المرجع السابق ، ص 34

فيها "وأعلم يا أخي أن أهل بيتنا ليس عليهم شيء من كلف السلطة وقد أرسلت إليك ابن أخي وهو كنفسي ، فإن كنت تستطيع أن تسقط تلك الكلف عنه وعن أهله فليقم عندك وإلا فتركه يرجع ، فوافق الأسكيا على ما جاء في كتاب الشريف وعلق قائلا " قد جعلنا ما هو أصعب من هذا لمن هو دونك فكيف لا نفعله لك "[54] . ثم أمر كاتبه أن يكتب له وثيقة تنص على أمر برفع تكاليف السلطنة، ولهم الشفاعة في كل شيء إلا النفس التي حرم الله[55].

**الخاتمة**

في ختام هذه الورقة البحثية نستطيع أن نستخلص جملة من النتائج عن هاتين الرحلتين، ومن خلال ما كانتا تهدفان إليه وهو المشترك بينهما وأوجه الاختلاف بينهما .

ـ فرحلة منسا موسى وإن كانت أقل عدة من رحلة الأسكيا محمد الكبير إلا أنها تميزت بشرف السبق ، مما جعل اسم منسا موسى يشتهر في العالمين الإسلامي والأوربي ، وهو ما تكلمت عنه معظم المصادر الإسلامية والغربية عكس الأسكيا محمد الكبير الذي كانت شهرته محدودة .

ـ منسا موسى كان يسعى من خلال هذه الرحلة إلى الشهرة والأبهة عكس السلطان الأسكيا محمد الكبير فقد كان هدفه التقليد بمنصب الخلافة والزعامة الروحية ، وقد قلد من طرف شريف مكة

ـ السلطان منسا موسى جلب معه العلماء والمهندسين ، أما السلطان الأسكيا محمد الكبير وبالرغم من أنه لم يجيئ معه العلماء إلا أنه كان في اتصال دائم معهم وخاصة الإمام السيوطي الذي أشار عليه في أمور الدين والسياسة .

ـ السلطان منسا موسى اصطحب معه رجل من أهل الحجاز تبركا بهذه الأرض وأهلها ، أما الأسكيا محمد الكبير فقد تبرك بالنسب القريشي الهاشمي ، وهو ماطلبه من شريف مكة أن يصطحب معه بيت من هذه العائلة فجاء معه بيت أحمد الصقلي .

[54] . محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 16.

[55] المرجع نفسه ص 19

ـ رحلة منسا موسى لم تشهد رحلات لعلماء من بلاد السودان إلى هذه المناطق عكس رحلة الأسكيا محمد الكبير التي شهدت بعد ذلك رحلات لعلماء من بلاد السودان الغربي إلى هذه المناطق

ـ حمولة الذهب التي أخذها معه الأسكيا محمد الكبير كانت كبيرة مقارنة بالتي أخذها السلطان منسا موسى إلا أن هذا الأخير أنفق أكثر من الأسكيا محمد الكبير

**قائمة المصادر والمراجع:**

1. أحمد، محمد عبد العالي، منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، مركز الدلتا للطباعة ، (ب ط ) ، 1987،
2. البخاري، إصلاح حمودة، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء ، تنبكتو غدامس نموذجا ( 7 . 11 هـ/ 13 ـ 17 م) رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا جامعة العقد الفريد ليبيا
3. الباز، السيد أحمد ، الحياة العلمية والثقافة في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي (مالي و صنغي ) القرن( 7 . 10 )هـ /( 13 ـ 16 ) م ، الدولية الافريقية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 2013،
4. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التحرير ، القاهرة ، 1966، ب ط ،
5. . التنبكتي، أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق، عبد الحميد عبد الله الهوامة، دار الكاتب، طرابلس، ط2، 2000
6. التكيتك، جميلة إمحمد ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير (1493ـ 1528م) ط1،دار الكتب الوطنية طرابلس ، 1998،

7. التنيخي، حسن علي إبراهيم ، تأثير الإسلام وثقافة العربية في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر ميلادي ، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان ، السودان ( 2008 /2009)
8. حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكنى والفنون ، مطبعة وكالة المعارف ، استنبول تركيا ،1941، ب ط ، مج 4 ص 845.
9. زكي عبد الرحمن، الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة ، (ب ت )
10. الزركلي خير الدين ، الأعلام ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7، 1986،
11. السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، مكتبة المقديسي ، القاهرة ، 1353هـ
12. السعدي. عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي ، دراسة وتح عبد المنعم ضيفي عثمان، دار الرشاد ، القاهرة ،ط1، 2010 ،
13. السيوطي، جلال الدين حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، 1976
14. السخاوي، الضوء اللامع.لأهل القرن التاسع، دار الجيل ، بيروت ،ط1، 1992.، 34/10
15. الشامي، ابراهيم علي يوسف ، الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي (636 ،1000 هـ / 1238، 1521م)، رسالة ماجستير في التاريخ والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ، 2006،
16. العمري، ابن فضل الله ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح وتع مصطفى أبو ضيف ، مطبعة الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1988،
17. العسيري حسن حلمي أبو الفضل علي ، السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597، 886 هـ/ 1200 ،1484 م) رسالة ماجستير في الدراسات الافريقية معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، 2009،

18. الفانوس، عمار سالم ، دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الافريقي، رسالة ماجستير كلية الفنون جامعة بغداد ، 2002،
19. القلقشندي أبو العباس ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تح محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، ( ب ت)
20. .كعت محمود، الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس،1913، ب ط ، بردين
21. مهدي رزق الله أحمد ، حركة التجارة في الإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، ط1، 1998،
22. مطير، سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 2005
23. ميقا، أبو بكر اسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ الى 1100هـ، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية ، ط1، 1997،